

دور المرأة الجزائرية أثناء الثورة التحريرية

(مع تقديم موجز لكفاح المرأة في منطقة سيدي بلعباس)

The role of Algerian women during the liberation revolution**(Brief presentation of women's struggle in the region of Sidi Bel Abbas)**د. عبد الحق كركب¹، جامعة ابن خلدون، تيارت . Kerkeb_abdelhak@yahoo.com

تاريخ النشر: 2021/01/28

تاريخ القبول: 2021/01/09

تاريخ الاستلام: 2020/10/07

الملخص:

الهدف من هذه الورقة البحثية هو رغبتنا للوقوف عند المساهمة الفعالة والأدوار الريادية والمهام النبيلة للمرأة الجزائرية عامة، والمرأة في منطقة سيدي بلعباس خاصة، والإشادة بها في خدمة الرجل وصنع التاريخ، أما أهم النتائج المتوصل إليها أن المرأة الجزائرية كسرت القيود ورفعت اللثام عن كاتم الصوت المفروض المكتم لأهات التحرر صارخة في وجه فرنسا بزنجرة مدوية شعارها "لا للقهر" و"تحيا الجزائر"، تواجهها بأنوثتها ومرفولوجيتها المرهفة في مختلف الظروف وأماكن الاشتباك له الوقع المؤثر والإيجابي لترجيح كفة المارك لصالح الوطن بصمودها المتعنت وعزمها القوي على النصر، فهي القاعدة الخلفية المأزرة لأخيمها المجاهد.

كلمات مفتاحية: المرأة الجزائرية؛ الكفاح المسلح؛ المرأة في منطقة سيدي بلعباس؛ مساندة الرجل؛ الثورة التحريرية؛ الاستعمار الفرنسي.

Abstract:

History notably admits that the role of women was not limited behind the man as a reserve. Instead, she furiously fought, like a human shield sacrificing herself against France, leading with staggering faith that was only surpassed by her love to Allah and her country. She has all the gratitude due to her fueling the fuse of the revolution since its first spark in different locations of the territory.

In this research paper, we aim at standing up for the contribution and role of the Algerian woman in general and the Abbasian woman in particular. Moreover, to praise her for serving and making history. Regarding the most important reached results, Algerian women have broken all restrictions and lifted the veil from the liberation silencing groans. Glaring in the face of France with the slogan "no to persecution and long live Algeria". Her rare femininity and her morphologic presence in different circumstances and places influenced positively the fight for her country with her resistance and strong determination to win. She is the teaming base to her freedom fighter brothers.

Keywords: The Algerian women; The armed struggle; The Abbasian women; Supporting the man; Algerian Revolution; French colonization.

1- عبد الحق كركب، Kerkeb_abdelhak@yahoo.com

1. مقدمة:

إن الاستقلال ثمرة عهد ميثاق غليظ ولد من رحم ثورة شعبية شحنتها المعاناة والأمل، وكانت المرأة فيه حجر الزاوية، المساندة لذاكرة التواصل بين الأمانة المودعة لدى المجاهدين والشهداء، والهادفة إلى المحافظة على إرث الحرية المفتكة بقوة الدم والعرق، فهي الأسرة والمجتمع والوطن، جسم متكامل، متجانس مع أخيها الرجل، ناضلا وكافحا معا، وسانده في أحلك الظروف والمحن، فهي الدعم اللوجستي، النفسي، والتكتيكي في القتال، دورها أساسي في دحرجة ودفع عجلة الثورة قدما نح والنصر والاستقلال من دهاقنة العد والفرنسي.

والمرأة منذ مختلف الأزمنة التي عايشتها الجزائر منذ 1830 جرفت وكسحت في طريقها الثوري كل الجراح والمعوقات، وزرعت وغذت لينة حب الوطن في وجدان نشئ الحرية ذكورا وإناثا، بفكرها، وبأغنيها النضالية المنتشرة عبر أثير تحمل ترانيم تتلوها الحناجر في قالب الشعر الملحون هدفها دغدغة الشعور الوطني وشحن الهمم، بالترديد في ليالي السمير تواترا مشيدة عن بطولاتها والرجال، حكايا واقع أذلت فيه بمعية المجاهدين المغتصب الفرنسي، في نقل وتشخيص بذكر حقيقي عن وقائع في شكل شريط لا يقبل التعقيم أ والتحريف، للمناقب الحميدة والسجايا العطرة لحياة الثوار الأشاوس المغاوير، بغرض نشر الرعب في نفسية الخونة والعدو، وما الزغاريد التي صدحت بها حناجر أمهاتنا المجاهدات البطلات ما هي إلا همس فياض لموسيقى داخلية، وحبكة فنية، من نسيج شعر يحمل في ثناياه خطاب التحفيز على الإقدام ومواصلة الجهاد، وتوثيق حقيقي للحدث الثوري، مدويا في الأذان كشواظ جمر أ وسبانك حمر من فيه المرأة، كفوهة ما سورة من قطعة سلاح قوي، لضرب العد والفرنسي في الصميم، واخللة قدرته على التمركز والتفكير في مواصلة معركة الحياة.

وعبر مقالي هذا سأسلط الضوء عن جملة الإستفهامات المطروحة ومنها: كيف التحقت المرأة الجزائرية بالثورة التحريرية؟ وما هي خارطة الطريق الثورية في اتصالاتها بالمجاهدين؟ ماهي أبرز مهام وأدوار المرأة في المجتمع الجزائري إبان الثورة التحريرية؟ وكيف ساهمت المرأة في منطقة سيدي بلعباس وشاركت وتفاعلت مع أحداث ومجريات الثورة الجزائرية ونجاحها؟.

وبالتالي من أهداف هذه الورقة البحثية ه والتعرف على مساهمات المرأة الجزائرية وأدوارها النضالية التي سايرتها وعاشتها والأحداث متفاعلة معها قلبا وقالبا في إنجاح الثورة التحريرية الجزائرية ونصرتها. وقد سطرنا في هذه الورقة البحثية المتواضعة على منهجين، الأول التاريخي الوصفي لشرح وسرد المادة العلمية مع تدوين الأحداث التاريخية والعسكرية. واعتمدنا على المنهج التحليلي لتفسير الأحداث واستقراءها، وصولا إلى إتباع المنهج المقارن لاستخراج الحقائق ومقارنتها بين مختلف الوثائق المتحصل عليها.

2. التحاق المرأة الجزائرية بالثورة التحريرية وكيفية اتصالاتها بالمجاهدين

1.2 التحاق المرأة الجزائرية بالثورة التحريرية:

ركبت المرأة الجزائرية طواعية منذ فجر الاحتلال أمواج الكفاح المسلح بغرض تفجير الثورة التحريرية، بإقدام وصبر، رافعة على هامتها راية ترفرف صارخة لا للاحتلال الفرنسي، وبيدها أسلحة تناغمت أناملها ضد الاستعمار الفرنسي وسجل لها التاريخ بطولات كانت فيها مثالا للشجاعة والتضحية، إما النصر أو الشهادة ضد قوات مدعمة بالحلف الأطلسي.

خيارها الشجاعة والإيمان فلم ترحزحها الخطوب ولا المحن على مدار سنوات الكفاح المسلح من عمر الثورة المجيدة عبر طول مدة السبع سنوات والنصف، دون كلل أو ملل، فكانت هي الشحنة والذخيرة والنفس المتجدد المدعم لأخيمها الرجل في مختلف الفجاج والمدن، أثرت وتكببت النج في السجون والمعتقلات، تاركة بصماتها ورفات أرواحها في سجل الشهداء.

فكانت الشهادة كالظل ملازمة لها ومرسومة على جبينها، وفي احتكاك متواصل معها، متطلعة للعيش في كنف مستقبل واعد متحرر لها ولبني جلدتها، ولنساء العالم، ناهلين منها أعظم دروس للبطولة لا يحوها الزمن. وتجلت مقاومة المرأة داخل عمران المدن بالسهولة نظرا لسهولة وحرية حركتها في الأوساط الأوروبية بتقمصها ومحاکاتها لطبايعهم خدمة للثورة، وذوبانها من حيث المظهر والشكل في الحياة، هدفها القيام بالعمليات الفدائية في مختلف دور الاحتلال ونقاط تواجده، بغرض نشرها جس الرعب في أوساطه، وتدرجت عبر مسار الثورة وارتقت بنضجها إلى توليها مهام متعددة كربت مختلف الاتصالات بين مختلف الخلايا والمناطق.

ورغم إطباق النفس على المرأة في منطقة سيدي بلعباس العباسية من قبل قوات الاستعمار واللفيف الأجنبي المنتشر في كل شبر من المدينة فلم تتخاذل ولم تتراجع بل زادا عزمها على مواصلة الكفاح فسارعت إلى طلب التكوين والتدريب على التمريض والإسعافات الأولية ومداواة المجاهدين والفدائيين المصابين داخل المدينة وخارجها في القرى وحتى في أعالي الجبال، فكان حضورها قوي ضارب في مختلف المحطات من مظاهرات وإضرابات، واحتجاجات.

إن الإيمان بالثورة جاء من خلال جيش التحرير الوطني وه وثورتي وهذا يعني أنه يضم أغلبية ساحقة من الشبان الذين يدفعهم الإيمان وتربطهم أواصر الأخوة وهؤلاء الشبان لا تتجاوز أعمارهم خمس وعشرون سنة حملوا على عاتقهم أعباء الثورة، واسم جبهة التحرير الوطني، ليخرج منهم الضباط والقادة العسكريين، والمسؤولين من مئات المواطنين المجاهدين، ونلمس هذا الإيمان بالثورة في ما قاله أحد المجاهدين: (هل يحسب المستعمرون أن أولئك الذين صعدوا إلى الجبال سوف ينزلون منها دون أن يحصلوا على الاستقلال. ول وفرضنا أنه لم يبق بالجزائر إلا امرأة عمياء فإنها لن تتردد في حمل السلاح والكفاح من أجل وطنها ول وفرضنا أن هذه المرأة بدورها قد سقطت شهيدة الواجب فان الجزائر التي أبيد وطنها وأحرقت غاباتها سوف تثور حجارتها على المستعمر الطاغية).¹

هذا وقد يعتبر الجهاد والإيمان بالقضية من الأسباب الرئيسة التي جعلت الشعب الجزائري يلتف متشبثا بالثوار ويناصر الثورة ويساندها بعقيدة لا تززعها أية قوة حتى النصر، ومن مميزات الثورة الجزائرية أنها شعبية شارك فيها الرجل والمرأة، الشاب والشابة، فإذا كان الرجل يتصف بالقوة والشجاعة فهذا لا يعني أنه خاض لوحده الثورة التحريرية، بل كانت المرأة دوما إلى جانبه² حيث قاسمت الرجل المجاهد كل أعماله، وأتعبه ومشاقه المدنية والعسكرية والسياسية³ والسباق إلى العمل والجهاد والتضحية والاستشهاد معه،⁴ وكانت مشاركتها متميزة في جميع الميادين السياسية والعسكرية والاجتماعية من أجل تحرير بلدها من براثن الاستعمار الفرنسي واسترجاع السيادة المسلوبة.⁵

ومن الدوافع التي عجلت بالمواطنات من الانضمام إلى صفوف جيش التحرير الوطني ه و اكتشاف العد ولأعمالهن السياسية والفدائية، والثوريات اللاتي كن محل نشرة بحث من البوليس الفرنسي (المطلوبات لدى القضاء أ والإدارة الاستعمارية)، النسوة اللاتي كن يعلمن في سرية تامة مع جهة وجيش التحرير الوطني (FLN) و (ALN)، وكشفت المخبرات انضمامهن للثورة أ وبوشاية من الخونة، وأما الطالبات فأتيحت لهن الفرصة والالتحاق بجيش التحرير الوطني بعد الإضراب الذي شنه الطلبة في 19 ماي 1956، ومنهن من حملن السلاح فداء لأرواح إخوتهن وذويهن، فالتحقن بالثوار بعد أن أحرق العد وقراهن وعذب أهالهن⁶.

ومن الجزائريات المسيلات والفدائيات ممن قتل ذويهن، من كن يعانين الفقر المدقع، والحاجة الملحة إلى لقمة العيش في ظل القوانين الاستعمارية الجائرة، لم يجدن مخرجا ولا بدا إلا بالتوجه نح وكرامة الجبال والانخراط في صفوف الثورة، وما أكثرهن ما كن يعانين من هذا الوضع المزري⁷ طيلة عهد الاحتلال الفرنسي بالجزائر فقد سدت أمامها كل السبل، وكانت تحي حياة قاسية وتعيش في حالة مزرية جدا، كما فرضت عليها عادات وتقاليده بعيدة كل البعد عن تعاليم الشرع الإسلامي وعن الرقي والحضارة،⁸ بل سعت فرنسا في سياستها إلى قتل وعزل وإبعاد المراة الجزائرية عن قضايا المجتمع وعدم إشراكها فيه وحرمانها من أدنى شروط الحياة حتى الطبيعية منها.⁹ وكان المنزل بمثابة السجن لها، كما فرض عليها حصار اجتماعي خانق، خشية وقوعها في الخطيئة وجلب العار، وبالرغم من ذلك وقفت المراة الجزائرية إلى جانب الرجل في مواجهة محنة الاستعمار الفرنسي.¹⁰

ومن هذا ندرك أن الأوضاع الصعبة والظروف غير الملائمة التي عاشتها المراة الجزائرية هي التي أدت بها إلى الانخراط في الثورة، وتألقت فيها ومارست أعمالا شتى داخل جيش التحرير الوطني بقدر من الأهمية والفائدة، وبذلك تغيرت الذهنية الكلاسيكية، لترتقي المراة بمنجزاتها الثورية إلى مصاف الريادة مع أخيها الرجل، وهذا ما ثمن دورها بفعالية وتبوات مكانتها بجدارة واستحقاق في المقررات التي نجمت عن مؤتمر الصومام¹¹ يوم 20 أوت 1956 إذ جاء فيه¹²: (إننا لنحي بإعجاب وتقدير ذلك المثل الذي نضرب به في الشجاعة الثورية الفتيات والنساء والزوجات والأمهات ذلك المثل الذي تضرب به جميع المجاهدات اللاتي يشاركن بنشاط كبير بالسلاح أحيانا في الكفاح المقدس في سبيل تحرير الوطن).¹³

2.2 كيفية اتصالاتها بالمجاهدين

لقد تمت طريقة الانضمام وتمت عن طريق خيط الاتصال بالجيش أو جهة التحرير الوطني، بعد التأكد من رغبتها وإصرارها توافق عليها القيادة الثورية، وتدمج وتلتحم بصفوف المجاهدين، وهذه الاتصالات القائمة بينهما تتم في سرية عالية وشديدة، يتكفل بها أحد المجاهدين، ثم يرافقها أحد المسبلين إلى المسؤول عن الاتصالات الخاصة بمركز المجاهدين للنظر في شأنها ليتم تدريبها وتعليمها، وفي أغلب الأحيان تبعث الفتيات إلى التدريب والتكوين قبل انضمامهم في الجيش، فيتم توجيهن نح والقواعد الخلفية الموجودة على الحدود المغربية أ والتونسية، ويتم تلقينهن تدريبات ميدانية في المجال الطبي والعسكري والسياسي، ليتمتعن عن قدرة صبرهن بالبقاء والمكوث لفترة مغلقة طويلة المدى في القواعد الخلفية وبالتالي يتم انتقاء المناضلة الأكفأ المتميزة بريادة الجأش.

وقد استقبل جيش التحرير الوطني المراة المجاهدة باعتزاز واحترام وهي التي وهبت نفسها في سبيل تحرير الوطن، وهو على يقين تام من أنها سوف تتحمل مسؤولياتها متحديا الصعاب كأخيها الرجل، خاصة ما أقدمت عليه الفتيات في 19 ماي 1956 عندما تخلين عن مقاعد الدراسة، والتحقن بإخوانهن في صفوف جيش التحرير الوطني وهذا يدل على التطبيق والإخلاص لمبادئ ثورة الفاتح من نوفمبر 1954.¹⁴

منذ سنة 1955 وبالولاية الخامسة عمل المجاهدون على استقطاب بعض النسوة لتكوين خلايا، وفروع خاصة بهن، وذلك وفق شروط معينة للإبقاء على سرية الثورة، فاتصلوا بنساء عرفن بوطنيتهن، وبتزكية مباشرة ممن انظموا إلى الثورة في وقت سابق، وبعد التحاقها وانضمامها إلى الثورة أوكلت لها القيادة الثورية مهمة توعية النساء بالمدن والأرياف، وفي مختلف الأماكن في دور الاستحمام والأعراس خاصة من تتوسم فيهن صفة الشجاعة والتضحية في سبيل الوطن.¹⁵

3. النشاط النضالي للمرأة الجزائرية إبان الثورة التحريرية:

لم تكتمل معادلة التحرر وميلاد الاستقلال بتقدم الرجل ساحات الكفاح، إلا بعدما تكاثفت المرأة جنبا إلى جنب معه لتترجح كفة ميزان القوة الضاربة في وجه العدو والفرنسي وتوجعه في الصميم مفندة الفكرة الاستعمارية أن المرأة ضعيفة ومكانها البيت، إيماننا راسخا منها أنه لا حياة دون حرية في وطن مستعمر، فهرولت إلى ميدان المعارك بكل فخر وتضحية، تزامنا ونضجها ووعيمها السياسي والنضالي، ترجمها العمل الثوري، وتأكدت لها فكرة أن ما سلب بالقوة لا بد أن تخضبه الأيدي بالدم ويسترع الحق لأصحابه بالقوة، هكذا صعدت المرأة جنبا إلى جنب الرجل إلى معاقل الثورة بالجبال.

شاركت المرأة في الكفاح المسلح ضد قوات العدو بشجاعة لا ترححها الشدائد والصعاب، فتجندت في المدن والجبال، وزج بها في السجون والمعتقلات، وكانت حاضرة وبقوة في مختلف التظاهرات والمسيرات والإضرابات، وفي الطليعة وفي احتكاك متواصل مع الموت، فخطت بأناملها المرهفة أحرف الحرية والتحرر لتحذ وخطاها نسوة من العالم التواقات للتحرر.¹⁶

عرفت منطقة سيدي بلعباس منذ سنة 1955 - كما سيأتي معنا لاحقا- وعلى غرار كل مناطق الجزائر العديد من العمليات الفدائية¹⁷ أو ما يصطلح عليه 'بحرب العصابات' في المدن.¹⁸

فكانت مقاومة المرأة بها مباشرة بسبب احتكاكها وسهولة تنقلها في عمران الأوروبيين، فتولت منذ فجر الثورة ربط الاتصالات وإيواء المجاهدين والمشاركة في العمليات العسكرية¹⁹، وتباينت مشاركة المرأة خلال الثورة التحريرية بين العمل الميداني كالاحتكاك والتلاحم المباشر ندا لندا مع العدو، وإلى النضال منذ تفجير الثورة المجيدة تحت لواء جبهة وجيش التحرير الوطني بالتزام واندماج مع الذوبان في دوامتها بوعي وتعبئة وطنية جارفة مكسرة لشرنقة العزلة الاستعمارية المفروضة عليها، فأبت إلا إن تكون الصخرة التي تتحطم عند عتبها سفن وأطماع فرنسا، وقلعة الصمود ومعقل الرجال تذي جذوة المقاومة في وجدان وشعور الأبناء والأحفاد بالذود عن بطولاتها والرجال في شكل حكايا وقصص ترومها بحب وشغف وتثني من خلالها أفعالها بمعية الرجال عبر معارك الغلبة التي كانت حليفهما، تحصن بها الدفاع عن الكرامة والهوية الوطنية لأصالة النشء، وتحتدم مع التاريخ خدمة للثورة في مختلف المستويات لسقي الفسيلة بدم الوطنية ودفع النفوس دون تأخير في المشاركة الفعلية فيها بكل جرأة وصمود، فتعددت أدوار المرأة في الثورة عن طريق:

- بتضحيتها الجسام أن دورها لم يقتصر البتة على التكفل بالأسرة، وأطفال أرامل الشهداء بل تعداه إلى العمل الثوري المباشر.

- تحضير المؤونة للمجاهدين وتخييط الألبسة، وجمع المعلومات، التبرعات، التمريض وتقطيب الجروح، أ والاحتجاج في المدن عن القرارات والوضعيات الخاطئة أو الحياة المزرية أمام دور ووسائل الإعلام الفرنسية مثلا كوقفه الصد لقانون التجنيد القصري لأبنائهم.

- المراة عكست مرآة المراقبة وفكت العزلة عن أخيها الرجل في المدن والمناطق العسكرية باستمالة بوصلة ومنظار المراقبة المفروضة عليه من قبل البوليس الفرنسي، بفتح البيوت وجعلها مراكز ثورية وطنية لالتقاء وراحة ومخابئ للمجاهدين، مع تشتيت تمركز قواه على الرجل وتبديدها.
- كانت المراة فدائية في المدن: تتقصى مختلف المعلومات وتمحيصها، والمساهمة في زرع القنابل في طريق العدو، ومنشأته العسكرية.
- عملت المراة أيضا كحرفية وخياطة ومناضلة، ومجاهدة جنديّة، ممرضة، احتكت مع الرجل وتعاهدت على خوض الأهوال والسير قدما دونما أن تعقب سيرا على الشوك دون خوف إيمانها الخالص الوفي برؤيتها الوطنية والتحرر من براثن المستعمر، لم نستكن وتنكسر عزميتها رغم آلة التعذيب التي سلطت عليها وعلى نظيراتها، لم تكل أ وتراجع عن واجبها، بل زادها إصرارا، ولم تخن عهد الثورة رغم هزالة جسدها المثخن بجراح الزمن، والمقاوم للتنكيل.
- إنها الأم الثورية التي حرّضت الولد والزوج على خوض المعارك وركوب الجبال وصعود قممها.²⁰

1.3 مهام المراة في الريف:

تعددت مهامها وتشعبت حسب الظروف ومكان تواجدها من إقامة ثابتة أ وترحال من 'الريف' البادية إلى "المدينة" الحضر، وذابت وانصهرت في الثورة قلبا وقالبا، بنفسيتها ووجدانها، إذ قامت بضيافة الثوار واستقبالهم برحابة الصدر، وتزويدهم بالمؤونة، والملابس، ومداواتهم عند اللزوم، وتكفلت بربط مختلف الاتصالات مع الخلايا ونقل البريد، والمسبلين، وتوفير المأوى لهم، مع تقصي وجمع مختلف المعلومات عن العدو ومعاونيه، وجمع الاشتراكات، وقيامها بهبة مسوغاتهن من حلي لفائدة الثورة، وتعدى دورها لتكون الراصد والدليل للثوار الغريباء عن المنطقة، بفتح الطريق للمجاهدين وتعريفهم بالمنطقة، وبالغابات.

وعن ذلك يقول المجاهد 'محمد بن يحي' من المنطقة الثالثة: (...إن الثورة استدرجت كل شرائح المجتمع في القرى التي كانت مشاركة النساء كبيرة، كانت المسبلات مجندات ليلا ونهارا، تطبخن أكل المجاهدين، وتغسلن ثيابهن، وتخبن مؤنثتهن ووثائقهم، وجراء ذلك استشهد الكثير منهم وسجن بعضهم وعذب، كان هؤلاء النسوة يؤدين مهامهن الشاقة بسكوت ووقار، ما كانت المسبلات ترفعن أصواتهن قط، وما كن ليشتكين إطلاقا حتى ول وكن منمكات، وفي غضون 'عملية جومال' (Opération Jumelles) كانت النسوة تستخفن بالموت رغم الأسلاك الشائكة حول المحتشدات المحروسة ليلا ونهارا ورغم المراقبة والدوريات ورغم الحدود التي لا يتم اجتيازها إلا تحت طائلة الموت ورغم منع التجول ووضعه تحت طائلة القتل بلا إنذار، فعند هبوط الليل كانت النساء تتسلن عبر الأسلاك الشائكة وتمون باقتطاع جزء من مواردهن القليلة ..)²¹.

2.3 مهام المراة في المدينة:

خطت نفس درب أخيها من الريف، وتلاءمت وتحورت في فكرها وفي مظهرها الخارجي لتقمص ومحاكاة الأوروبيات في الزينة وحركات المعاملة للثورة وكان مظهرها على طريقة الأوروبيات في الأحياء وأماكن تواجدهم بغرض تنفيذ العمليات التي يجبها جيش التحرير الوطني، وما ارتداؤها للباس التقليدي الحايك "الملحفة" إلا محافظة منها على أصالتها ورونقها الجميل باعتباره الموروث الحضاري عبر الأجيال، ومنه كان مطية للتمويه على حمل الأسلحة والتنكر يتوارى فيه المجاهدون لتضليل العدو.

إن المرأة الجزائرية في المدينة لا ترتدي الزي العسكري حتى لا تثير الشبهة والأنظار، بل على طبيعتها بزّي مدني، فكانت منها الفدائيات المثقفات المتعلّقات المتميزات بالذكاء والجمال، المتقنات للغة المستعمر بغرض التعامل معه، هدفهن العمل بسرية عالية لتدمير أوكار تواجده في الشوارع، المقاهي، الحانات خاصة في أوقات الأعياد. وراحة نهاية الأسبوع بزرع القنابل وحملهن في الحقائب، وغالبا ما كانت الفدائيات تقمن بتنفيذ مهامهن في وضوح النهار دون أن يشعر بهن أحد، ومن هن من كن يساهمن في صنع المتفجرات بأنفسهن، ويمكن أن أياما عديدة داخل المخابئ المشيدة كسراديب في بطون الديار.²²

أضف إلى وجود المرأة المسبلة التي تعددت أدوارها من الاستعلام الاستخبار، التردد والاستطلاع، عن جنود الجيش الفرنسي، وتحركاته، وحراسة المجاهدين، وإخفاء الأسلحة التي تنفذ بها العمليات، مع مرافقة الفدائيين إلى المأوى والأماكن الآمنة.

لقد ترجمت المرأة مشاركتها في أشكال مختلفة مع أخيها الرجل، حيث كان له الهدف الأسمى بتكسيبها كل الأعراف والتقاليد في جميع الأماكن بالأحياء والغابات خدمة لتحقيق الاستقلال، فلا يمكن فصل دور المرأة عن دور الرجل لتحرير الوطن²³ وتوالت أدوارها من جنديّة وممرضة ومسؤولة عن التموين والسلاح ومسؤولة عن الاتصالات السرية في جميع جبال الولايات الست، زيادة على دورها المعروف في المدينة كفدائية ومسبلة، ومنهن أيضا المجندات الغير المتعلّقات ومعظمهن من سكان البادية، وقد لعين دورا هاما في إعداد الطعام والشراب للمجاهدين في الجبال عندما يقصدون الناحية للقيام بمهام عسكرية مختلفة، إضافة إلى القيام بغسل ثيابهم والسهرة على تربية أبناء الشهداء واليتامى وحفظ الأسلحة والمواد الغذائية.²⁴

ومن مواقف المرأة الريفية أيضا تلك الفتيات التي تبرعن بكل مهرةن وأجهزتهن إلى الثورة²⁵ وهنا تجدر الإشارة أن المرأة المدنية تلقت صعوبات كبيرة في الخروج من البيت والتنقل عكس المرأة الريفية التي تستطيع الخروج وذلك يعود لقلة المراقبة العسكرية المستمرة وكثرتها في المدن.²⁶

وللانتقام منها قام الاستعمار الفرنسي بإلقاء القبض عليها بكل الطرق، وه ويشعر بانتصار كبير يسجله كلما وقعت واحدة منهن بين يديه مستعملا معها أشبه أساليب التعذيب، وقد بذل الجلادون قصارى جهدهم لتشويه جسمها وانتهاك عرضها وحرمتها وتجريدها من كل الصفات الإنسانية رغبته في ذلك اكتشاف أسرار الثورة ومحاولة إخضاعها وإجبارها على الخيانة منتهجا في ذلك تعذيبا نفسيا وجسديا.²⁷

وتتوالى مهامها وتنشعب في أحضان الثورة التحريرية وأذكر مستفيضا:

👉 التجنيد:

حقا أن أول الغيث قطرة، والشعب خزان الثورة، أبنائها البررة، إذ تشكلت أولى نواة جيش التحرير الوطني من الفلاحين والمتطوعين، غالبيتهم من الأرياف والبوادي، ومن العمال إضافة إلى قدامى محاربي الحرب العالمية الثانية.

وما المرأة في هذه المعادلة إلى مركز الدائرة فهي من أنجبت الرجل السيد الذي حمل السلاح وحارب عن وطنه فهي من وخز الرجل وحثه عن مواصلة الكفاح دون هواده أو استهانة. فخورة بالمجاهد والشهيد وزغرودتها بوق بعث بالصمم في أذن وتاريخ فرنسا العجوز بما اجتاحت من مكر وخداع.

والمظهر الأساسي للمرأة المشيدة المساندة للثورة زواجها بالمجاهد أمام المحاكم الشرعية الجزائرية لخير

دليل صارخ على حبها وتفانيها لوطنها فجبهة التحرير هي من كانت تصادق على عقد القران وتستخرجه كوثيقة.

👉 التمويل والتمويل:

هما القلب النابض للثورة وأساس نجاحها فالاشتراكات منبع لجلب المال لشراء الثياب والسلاح لتوثيق العلاقة بين المواطن وثورته، والمتريعات بمسوغاتهن، مع تحضير الأطعمة وتخفيف الكسوة ونقل الأدوية.

المعالجة والتمريض:

الحاجة الملحة للتكفل الصحي بالجرحى جراء الاشتباكات بين جنود جيش التحرير والوطني والقوات الفرنسية، أوجب على رجالات الثورة من استحداث المستشفيات والمراكز الصحية المتنقلة وتحت الأرض لرعاية المصابين ومداواتهم.

وكان للمرأة بأناملها حصة الأسد فلم تتراجع عن أداء واجبها بأناملها في التمريض، تقطيب الجروح، السند والأمل المرهق للمصاب، فهي وميض الحياة للمجاهد كعمل إنساني راقى خاصة حاجة مع شح وندرة الأدوية لطرد اليأس من نفوس المجاهدين خاصة الجروح المفتوحة والمستعصية التي تتطلب عمليات دقيقة وأدوات حديثة، كما قامت بتحمل الصعاب وتطبيقها للتعليمات مع احترام السلم النظامي للرتب وحمل السلاح وحقيبة التداوي لجهد جهيد يرجع كفتها الوطنية إلى مصاف الخالدات في سجل الأبطال مع زميلاتهن أمثال: صورية بن ديمراد، حسية بن بوعلي، جميلة بوحيرد، وغيرهم من حرائر الجزائريات.²⁸

إذن شاركت المرأة الريفية في القرى والمرأة الحضرية في المدن، مما أعطى دفعا قويا لنجاح الثورة وبذلك كان عملها متكاملا ومكملا لعمل الرجل.²⁹

4. موقف الاستعمار الفرنسي من المرأة الجزائرية

إن رؤيا الاستعمار وإستراتيجية سياسته الاستعمارية خلصت عندما اصطدم بمقاومة الرجل الثابت على موقفه إما النصر أو الاستشهاد، فتقرب من المرأة لعلا وعسى أن يستقطبها لمعادلته ويكسبها على جانبه تجسيدا لمقولته: (لنعمل على أن تكون النساء معنا وسائر الشعب سوف يتبع)، هدفه إجهاض الثورة والإيقاع بين الجزائريين والجزائريات خاصة بعد مجيء ديغول لسدة الحكم في جوان 1958، وكان لسلاح السفور وتحرير المرأة الجزائرية، فعقد الحاكم العام لمدينة الجزائر 'جاك سوستيل' اجتماعات شعبية سيق إليها جموع الناس بالقوة وتحت طائلة التهديد بالسلاح، فخطب ودعا إلى تحرير المرأة، فأكرهت النسوة إلى خلع الحجاب وحرقه، في حركة تهكم واستخفاف أمام الجماهير، ومن سياسة المستعمر أن يجعل المرأة وسيلة للوصول إلى هدفه بحكم طبيعتها الأنثوية ومدى تأثيرها على الرجل، فتستعمل كثير من النساء كجواسيس لمعرفة خبايا وأسرار العمليات الثورية.³⁰ وهي المعادلة المنافية لتوقعات فرنسا إذ خرجت المرأة الجزائرية في اليوم الموالي محتشمة مع نظيراتها بزي يلف جسدها، متحجبة غير سافرة، هي الجذور والأصالة والإيباء نخوة تمسكت بها المرأة.³¹

اعتقدت الإدارة الاستعمارية معرفتها الوطيدة بالمرأة الجزائرية خاصة ما لاقته من مقاومة وكفاح في دفاعها المستميت عن الجزائر، فحاول المستعمر بكل الطرق والأساليب استمالة المرأة إلى كسب ودها لتأييد تواجده الظالم بأرض الجزائر بسنه لترسانة من القوانين تجبرها على الرضوخ أو استمالتها للدفاع عنه، ومنها:

- سن قانون المرأة الذي يمنع زواج المرأة إلا ببلوغها عمر 15 سنة فما فوق، والمقنن في شهر ماي 1930، للحد من سلطة الرجل على المرأة، في كسب للمرأة أمام الإدارة الاستعمارية، بيد أنها حافظت على تقاليدها الأسرية وبناء المجتمع.

- وبعد الحرب عالمية الثانية حاولت الإدارة الاستعمارية تلميع صورتها أمام الواجهة العالمية خاصة بعد أحداث 08 ماي 1945، وتلاه قانون 20 سبتمبر 1947، المادة 03 منه الذي يمنع حق الانتخاب للمرأة المسلمة.

- كما جاء قانون 1958/02/05 يمنح الحقوق السياسية للمرأة أملا في تحديد المرأة عن الثورة التحريرية.

على ضوء ما سلف تبينه سعت فرنسا بكل الطرق والوسائل لسلخ المراة عن المجتمع وبث أوربة الثقافة والمعاملة بالنواة الإسلامية إلا أنها لقيت الصد والرفض التام كونها كانت متطعمة من جذورها بالإسلام والعروبة، كيف لا وهي التي رفضت وصرخت بكل قوة في المحافل والتظاهرات (لا للوجود الفرنسي)، ومن رحمها وأحشائها نبع وولد الأبطال، فعند الإحصاء للنسوة اللاتي صعدن الجبل منذ بدايات شرارة الثورة في سنة 1956 عددت بحوالي 400 امرأة جنديّة، وهي التي فارقت نعومة الفراش إلى خشونة الحصير الجزائري حرة مستقلة.

1.4 معاملة الاستعمار الفرنسي للمراة

بيّن الواقع المعاش آثار وخطوات المستعمر المنتهك للتربة والحدود، وما جناه من جراح وآلام وتجارب بأسلحته المحظورة على البشري جرائم ضد الإنسانية دون رحمة أ و رقيب دولي منتهكا كل الأعراف والمواثيق، بدءا من قضم تربة إفريقيا من دولة لأخرى إلى فرض السيطرة عليها كلية إلى أن استوطن بالجزائر. فالمرأة عانت منه الويلات والأمرين أكثر من الرجل، فكلما تؤسر ينكل بها، وتسلط عليها أعتى أنواع التعذيب المهين من اغتصاب، توثيقها بقيود حديدية في اليدين والرجلين، تركها دون كسوة، رجل حاف وجسد طبيعي يترك للعراء، تحت أنظار وبين أيدي جلادي فرنسا.

مما ترك لها آثارا جسيمة وسلبية نفسية منها والجسدية لا تتداوى إلا بنيل ثمرة الاستقلال، فالفاجعة أكبر مساس خطير عاهات مستديمة كالبتير للأعضاء الجسمية، ومساس بشرف قسّمات الجسم، هي الآثار التي سجلت على صفحات التاريخ لتبين مدى صبر وصمود المراة في وجه ممارسات الاستعمار الفرنسي.³²

2.4 وحشية التعذيب للمراة المكافحة الثورية

بعد تعاضم شأن مشاركة المراة في الثورة التحريرية وتنوع أدوارها، أدى دخولها دائرة الضوء التاريخية، مما أدى بفرنسا إلى إطلاق حملة مسعورة ضد المراة أين خصصت لها معتقلات خاصة بها، وإذ نجد عبر التاريخ أول معتقل فرنسي والمسمى 'تلفال النسوي'، أنشأته فرنسا لعقيات المجاهدين الثوار الأوائل الذين فجروا الثورة في منطقة جنوب الأوراس، بغرض منعهم من الاتصال بأزواجهم، وأيضا لتحديد هوية الثوار بالتعرف على زوجاتهم وأبنائهم، فقد تأسس هذا المعتقل من طرف الجيش الفرنسي في شهر أوت 1955، وهو وعبرة عن ساحة صغيرة مغلقة تحتوي على غرف توضع داخلها نساء المجاهدين مع أطفالهن.³³

كانت المراة الجزائرية ضحية الاعتداء المفرط من طرف جنود فرنسا على نسوة القرى والمداشر خلال عمليات التمشيط، وبالمدينة عند المدهامات للبحث عن المجاهدين، فلا يشفي غليلهم سوى نهش لحم حرائر الجزائر، والتنكيل بهن.³⁴ ويبدل قسارى جهده لتشويه أجسادهن وانتهاك أعراضهن، من الحصول على معلومات منهن، وبعد أن ييأس من ذلك يحكم على بعضهن بالإعدام، وبالبعض الآخر بالسجن.³⁵

تحملت المراة الجزائرية عامة وبالولاية الخامسة على وجه الخصوص وخاصة في الأرياف ما كان ينجر عن عمليات الانتقام التي كان يقوم بها المستعمر الفرنسي حين يكتشف إيوائها للمجاهدين في بيتها، فيذيقونها أشد أنواع العذاب، وهذا مؤكده أحد المجاهدين المجاهد 'بوسلي الحبيب' من ولاية تيارت يقول: (كنا مطاردين من طرف قوات العد وفي كل مكان، وعندما لا يتمكنون من إيجادنا ينتقمون منا بطريقة أخرى، وذلك بصب جام غضبهم على أهلينا العزل، بأن يقوموا بحرق الخيام وقتل النساء والأطفال).³⁶

5. دور المراة بمنطقة سيدي بلعباس ومساهمتها في الثورة التحريرية الجزائرية:

قبل الخوض في تبيان دور المراة العباسية ومواكبتها الحدث الثوري ومسارها المستميت فيه، سأشرح بإسهاب عن الحياة العامة لمنطقة سيدي بلعباس قبيل اندلاع الثورة التحريرية، وأبين أن:

المنطقة الخامسة من الولاية الخامسة _سيدي بلعباس_ تواكب نفس المسار وتعيش نفس الحدث متفاعلة مع الأحداث والظروف السياسية، ولا بأس أن نعرج قليلا على الوضع العام لمنطقة سيدي بلعباس قبل قيام الثورة، إن وضع كل منطقة يختلف عن مثيلاتها من حيث التعبئة السياسية وهذا لاعتبارات بيئية وجغرافية وإستراتيجية وكذا وضعها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ومن هذا المنظور ساهمت كل منطقة من مناطق التراب الوطني بالقسط الذي أتيج لها من لوجستيك لإنجاح مسيرة الثورة الجزائرية.³⁷

فكانت الأوضاع الاقتصادية لغالبية سكان مدينة سيدي بلعباس مزرية، سكانها سخرة يعملون عند الكولون بالرعي والفلاحة، فبعد استيلاء واستحواذ المستعمر على معظم الأراضي الخصبة استغل ملاكها الشرعيون وسخرهم للعمل في الزراعة لديه بأثمان زهيدة وبخسة، حتى بعائلاتهم، ودون احترام لساعات وأيام العمل، ودون راحة.³⁸ أما في المجال الاجتماعي فقد عاش المستوطنون الأوروبيين في رخاء ورفاهية، وفي كنف السعادة والأمن والاستقرار، فكانت مدينة سيدي بلعباس المدينة المفضلة للعيش للفرنسيين كونها مدينة مبنية على الطراز الباريسي بهندستها، وانتشار مختلف أسلاك الأمن والجيش والدرك والشرطة، إضافة إلى فيالق اللفياف الأجنبي التي وفرت الحراسة والاستقرار والهدوء، عكس الجزائريين الذي كان الفقر والمرض والحرمان يؤمهم في الأحياء الشعبية في كل من حي القرابة، بريانطو، قمبيطة، وسيدي الجيلالي، وسيدي أعمار، وفيلاج تيار، وفيلاج الريح وغيرها، وهي كلها أحياء كانت تعبر عن المعاناة التي كان يعيشها سكان مدينة سيدي بلعباس في ظل الاحتلال الفرنسي، هي الحالة السيئة والخطيرة التي وصل إليها سكان المنطقة والتي تعكس الوضع العام الذي آل إليه المجتمع الجزائري جراء السياسة الاستعمارية.³⁹

أما عن تنظيم وانتشار الثورة بمنطقة سيدي بلعباس-كما وأن أشرنا لذلك أنها كانت تتميز بكونها إحدى مراكز الاحتلال الرئيسية وأشهر المناطق تواجدا للمعمرين والمستوطنين إلى جانب كثافة توزع الثكنات العسكرية من مراكز للجيش الفرنسي واللفياف الأجنبي والاحتياطيين والمتعاونين والاستخبارات الفرنسية والشرطة فكان الأوروبيون يمثلون ثلث السكان بالمنطقة وبذلك أصبحت مركزا رئيسيا لهم⁴⁰، ه والأمر الذي زاد من صعوبة إقامة تنظيمات سياسية وعسكرية لقيادة جبهة التحرير في المنطقة، فقد عاشت المدينة غليانا سياسيا في فترة الحركة الوطنية الجزائرية مما أدى بمناضليها إلى الاتصال بالمناضلين من مناطق مجاورة بغرض التنسيق مع قادتها حول الثورة وتوفير جميع الشروط المادية والبشرية لإنجاحها ميدانيا، وهذا عن طريق تنظيم الإعلام والاتصالات ونشر الوعي السياسي لدى المواطنين والجماهير على حد سواء بنشر وتوزيع المنشائر الإعلامية التعبئة والتجنيد.

اعتمدت منطقة سيدي بلعباس وغيرها من مناطق التراب الجزائري إبان الثورة تنظيما سياسيا وعسكريا محكما ودقيقا، يعتمد أساسا على العمل الفدائي والعسكري المسلح، في المناطق الخاضعة لنفوذها سواء في المدن والأرياف⁴¹، ولنجاح هذا التنظيم اعتمد على السرية المطلقة والدقة المتناهية في التنظيم تفاديا للوقوع في أيادي الإدارة الاستعمارية التي ضربت طوقا حديديا من الرقابة اللصيقة والتفتيش في المناطق العسكرية، وتركت قيادة المنطقة وفقا لمبدأ اللامركزية من جهة ولصعوبة الاتصال وخطورته من جهة ثانية، ولضمان سيرورة عمل الثورة عمدت على إقامة شبكة من الأفواج العاملة ضمن الخلايا التي ربطتها بنظيراتها بتكثيف الاتصالات المستمرة حتى تحافظ على سلامة التنظيم السياسي، والرفع من فعاليته، وخصصت لهذا العمل الدؤوب والخطير أفرادا يتصفون بمواصفات كالشجاعة والإقدام، حيال هذا قامت قيادة جبهة التحرير بالمنطقة بتنظيم جميع مرافق الحياة العسكرية المدنية بمنظور ثوري محكم.

غير أن تأخر قيام الثورة في الجهة الغربية من البلاد يرجع إلى الأسباب المعروفة، ومنها التواجد الأوروبي المكثف بمنطقة سيدي بلعباس على الخصوص، ظف إلى قلة مصادر التموين بالأسلح والمعدات العسكرية.

بيد أن منطقة سيدي بلعباس برمتها احتضن سكانها الثورة بإشادة وفخر كبقية مناطق الوطن الحبيب التي ضربت فيه أروع الأمثلة في النضال والتضحية مليئة نداء الواجب، نداء تفجير الثورة المجيدة في الفاتح من نوفمبر 1954⁴².

هذا الزخم الوطني لم يقتصر على الرجل بل شاركت المراة العباسية فيه وساهمت في الكفاح المسلح بالنفس والنفيس، وتجلدت للمعاملة الوحشية التي لقيتها على أيدي الغاصبين والمجرمين من فرنسا. توافقا ومواكبة من ساكنة مدينة سيدي بلعباس بمختلف الشرائح، تشكلت على تربتها خلايا نسوية متحدية القبضة الحديدية التي طوقت أنفاسها من اللفيف الأجنبي، فبعدها تلقت المراة العباسية تكوينها السياسي والتدريب العسكري، بالإضافة إلى التريصات في التمريض، والإسعافات الأولية، راحت جميلات المدينة بتنفيذ المهام التي أسندت إليهن، بدءا من جمع المؤن⁴³، إلى عمليات التمريض للمجاهدين والفدائيين داخل المدينة، وخارجها في القرى، إلى أعال جبال المنطقة الخامسة من الولاية الخامسة.

فالعديد منهن شاركن ببسالة منقطعة النظير في مختلف العمليات الفدائية والاشتباكات والمعارك الضارية التي دارت رحاها في قلب المدينة أ وفي الجبال كجبل الموكسي وعساس، تسالة، جبل قديرات والضاية⁴⁴، وغيرها، كما اعتبرت المراة همزة وصل بين المدن والأرياف، وهي المهمة الجديدة التي أسندت لها، وهذا ما عرفناه عنها من حذاقة وخبرة ثورية.

وأمانة للأجيال وللتاريخ سأسوق نماذج عن جميلات مدينة سيدي بلعباس⁴⁵ اللاتي سقطن في عنفوان شباهن بميدان الشرف أرواحهن مخضبة بدماء التحرر جنبا إلى جانب أشقائهن من الرجال في سبيل أن تحيا الجزائر حرة مستقلة⁴⁶، إذ يشهد تاريخ مدينة سيدي بلعباس لوحدها أن أكثر من أربعة عشرة 14 فدائية استشهدت في ميدان الشرف⁴⁷، أظهرن بسالة تضاهي بسالة المغاوير من الرجال، ومن هن على سبيل الإستشهاد لا الحصر أذكر:

- ◆ الشهيذة/ بابا أحمد الزهراء 1957 المدعوة: عويشة.
- ◆ الشهيذة/ شلالى خديجة 1957 المدعوة: غنوجة.
- ◆ الشهيذة/ عراس رقية 1960 المدعوة: ليلي.
- ◆ الشهيذة/ خير النبية 1960 المدعوة: شادية.
- ◆ الشهيذة / عظيم فتيحة 1961 المدعوة: زوبيدة.
- ◆ الشهيذة/بن ديمراد منصورية 1961 المدعوة: صورية.
- ◆ الشهيذة / طالب سليمة 1961.
- ◆ الشهيذة / مكاوي زوليخة 1961 المدعوة: زوبيدة.
- ◆ الشهيذة / ذراع فاطمة 1962 المدعوة: نورية.
- ◆ الشهيذة/ الطيب إبراهيم شريفة 1962 المدعوة: صورية.
- ◆ المجاهدة / لواحلة خيرة المدعوة: عربية، توفيت بتاريخ 2006 في البقاع المقدسة.
- ◆ المجاهدة/ داني الكبير سعدي المدعوة: محجوبة، أطال الله في عمرها.
- ◆ المجاهدة /الطيب إبراهيم فتيحة المدعوة: جميلة، شقيقة- المجاهدة الطيب إبراهيم شريفة-أطال الله في عمرها.

مما سبق نلمس حقيقة مساهمة المراة بمدينة سيدي بلعباس، حيث اتسم بالحزم والعزم والاستماتة، ندا مع الرجل تجلى في صارخا ملحمة رددتها حناجر الأجيال، وتغنى بها التاريخ ملعلعا بصوت رنان كسح الآلة الاستعمارية الفرنسية، ودمرها بالسواعد المشتركة بين المراة والرجل، لبلوغ النصر والحرية.

ومن حرائر الجزائر اللواتي شهد التاريخ لاستشهادهن في أرض الشرف، وامتن الأجيال لهن بجلب الحرية والاستقلال أستشهد بسيرة فدائيتين مدينة سيدي بلعباس وهما:

■ الشهيدة بن ديمراد منصورية:

ولدت الشهيدة بن ديمراد منصورية المدعوة صورية يوم 11-03-1940 بمدينة سيدي بلعباس من أسرة كل أفرادها مناضلين ومجاهدين، بعد أن تابعت دروسها في الابتدائي والثانوي، تحصلت على شهادة التمريض، ودخلت تعمل بالقطاع الصحي منذ صغرها، فكانت تتألم لمعاننات شعبها، الشيء الذي دفعها إلى الاتصال بمسؤولي الثورة وعمرها لم يتجاوز السادسة عشرة سنة، فقد جندتها الشهيدة خيرة لواحلة الملقبة بـ"عربية"، بمركز زنيرا (Renira)، وهي مدرسة للخياطة يمارس فيها العمل الثوري، وبأمر من المجاهد "طبيي العربي" و"نجادي محمد" المدع وبكاي، فكلفت بشراء الأسلحة والأدوية والألبسة.

ولم تمض في دربها الثوري طويلا حتى كشف العد وأمرها وألقي عليها القبض، وزجت في السجن مدة ثلاثة أشهر، ثم أطلق سراحها، مما زادها الوضع حماسة وإسراارا على نصرة قضية شعبها فراحت تعمل كمرمضة مساعدة للدكتور "محمدي"، بعدما أن تحصلت على كميات كبيرة من الأدوية من مستشفى مدينة سيدي بلعباس سنة 1957، وانكشف أمرها مرة ثانية، وألقي عليها القبض وخضعت هذه المرة للتعذيب الوحشي بغرض وشاية مكان تواجد رفقاءها، لكنها أبت وبقيت صامدة وصامدة إلى غاية أن تم الإفراج عنها، لتلتحق بكل شغف بصفوف المجاهدين بالجبال سنة 1957، حاملة السلاح ومسعفة للجرحى.⁴⁸

بقيت راكبة لدروب الجبال مدة أربعة سنوات متتالية حتى أن سقطت في ميدان الشرف يوم 06 جويلية 1961 إلى جانب الشهيد "بن فرل وعبد القادر" المدع و"سي ناصر" في شارع مارسال سردان سابقا -بجي سيدي أعمار- بطريق وهران، واللذان كانا في مهمة إخراج ذخيرة السلاح ونقلها إلى الجبال، فطوقتهما الدبابات وجند فرنسا في حدود الساعة العاشرة ليلا ليسقطا شهيدين في منزل المناضل صادر عمار، بعد مقاومة باسلة، وقيل أن تفارق الحياة قالت كلمتها الأخيرة "بدمي أكتب الجزائر تحيا حرة ومستقلة" وكان عمرها آنذاك عشرون سنة.⁴⁹

■ الشهيدة عراس رقية:

هي الشهيدة المدعوة 'ليلي' من مواليد 11 جويلية 1939 بسفيزف (تبعد 40 كلم عن مقر ولاية سيدي بلعباس)، ابنة "محي الدين" و"بلجربوات خيرة"، تابعت دراستها الابتدائية بمسقط رأسها، وأمام الوضعية المزرية التي كانت تعيشها البلاد في بداية سنة 1957 اتصل بها المجاهد "ميلود بوجرارة" بدوار "الدحايجة" قرب مدينة سفيزف، أسندت لها مهمة جمع الأدوية والألبسة للمجاهدين، والتي كانت تنشط ضمن خلية نسوية تديرها الشهيدة "بوحريز رياش يمينة".⁵⁰

ومن المجاهدين التي كانت لهم اتصالات بها نذكر كل من: "سي عبد المجيد"، "الباربو"، "زعطوط بلاندي"، "عبد القادر الغوال"، "جون بيار المدع وعبد القادر بيلان" و"سي رابح" من معسكر، وبعد اعتقال والدها محي الدين، التحقت الشهيدة مباشرة بصفوف جيش التحرير الوطني سنة 1958⁵¹ بأولاد بن يوب لتلقب "بالإسم الثوري ليلي"، وهناك التقت بمجاهدين كبار أمثال النقيب "المجاهد الطيب نهاري"، ونظرا لحيويتها ومعنوياتها الكبيرة، أظهرت الشهيدة مهارتها في القتال بكل شجاعة، وقد شاركت في عدة عمليات عسكرية جريئة كالأعمال الفدائية والاشتباكات والمعارك نذكر منها: معركة العقبة التي وقعت أحداثها سنة 1958، واستشهد خلالها حوالي 40 مجاهدا، خسر العد وفيها العديد من العساكر.

وفي نفس السنة شاركت في اشتباك قرب بلدة الحساسنة استشهد فيها المجاهد "مختار بوقايد" المدع و"نابالم" الذي أحرق فيها حيا قرب مدينة "بوحنفية"، وفي منزل "سي عبد القادر" الذي كان مركزا للمجاهدين يقابله مركز

الجيش الفرنسي فكانت مجموعة من المجاهدين من ستة أفراد وثلاث مجاهدات تخطط للقيام بعملية هجوم على المركز العسكري على الساعة العاشرة ليلا، أين قتل على إثرها 05 من جنود فرنسا، وبعد هذه العملية النوعية وفي سنة 1959 انتقلت الشهيدة إلى ناحية سعيدة لتوسيع نشاطها الثوري. وفي سنة 1960م وقع اشتباك بجبل "إسطنبول" ناحية سفيزف في إطار العملية العسكرية الفرنسية المعروفة باسم "عملية جومال" (Opération Jumelles) التي شارك فيها حوالي 113 مجاهد و(03) ثلاث مجاهدات من بينهن "عراس رقية" التي سقطت شهيدة في ميدان الشرف.⁵²

6. خاتمة:

المراة الجزائرية بمختلف جذورها الاجتماعية ومشاريها التكوينية، بما فيها المراة في منطقة سيدي بلعباس شاركت في أحداث البلاد بحب وإرادة، وبإيمان راسخ بكل ما أوتيت من قوة وجهد بصمود وعناد كبيرين في سبيل تحقيق الحرية، ليكتمل واجبها المقدس، وتوضح لديها الرؤيا المستقبلية بكل وعي ومسؤولية أنه لا مناص من الدخول ودعم القضية الوطنية.

فحينما دق عندها ناقوس الوطنية مؤذنا معلنا عن جسامه الخطر الداهم، ومنذرا وداعيا للتحرر، توحدت الجهود والمرام، وتكاثفت مشارب المعالم السياسية، وخلصت إلى هدف وحيد ه واللجوء والعمل المسلح لتحرير الوطن من فرنسا الاستعمارية، فتطلعت المراة شوقا بمختلف مراحلها العمرية، وفي مواقعها الحياتية، وانزوت في الجبهة الوطنية لمسيرة موجة التضحية والبطولة وكان النصر حليفها والجزائر.

فالتاريخ لم يتنكر لدور المراة الفعال والإيجابي اتجاه دعمها السخي للثورة التحريرية بدءا من ذودها بروحها وما أنجبت وما أحبت الزوج ومسوغاتها، هي المثال الذي يقتدي به في الإقدام والشجاعة، والسند العطوف المقتدى من رجالات الثورة بالدعم ومجابهة المخاطر، بتحملها المسؤوليات الجسام ببلاء حسن خدمة للثورة.

فانتفضت المراة الأبية الوطنية وخلعت عن جسدها منذ تفجير الثورة دثار الخوف مكسرة كل القيود والأعراف مرتدية درع حب الوطن مقدامة إلى تكسير قيوده المطوقة لتحرره إيمانها الوحيد استقلال الجزائر. لم تتخلف أو تتراجع المراة بمنطقة سيدي بلعباس عن تلبية نداء الواجب نداء الثورة ولا عن ارتداء بزة جيش التحرير الوطني التي رصعت جسدها بها، فكانت مفخرة جيلها، وبروح تلقائية، ولدت من رحم المعاناة شريحة الشعب الأبي.

7. الهوامش (الإحالات):

- ¹ مصطفى طلاس، بسام العسلي، "الثورة الجزائرية"، طلاس للدراسة والترجمة والنشر، دمشق، 1984، ص 434.
- ² مجلة أضواء، (دون ذكر المؤلفين)، العدد الأول 1998، نشرة إعلامية تاريخية فصلية تصدر عن مديرية المجاهدين لولاية سيدي بلعباس، مصلحة المحافظة على التراث التاريخي والثقافي، ص 30.
- ³ يحي بوعزيز، "الثورة في الولاية الثالثة (1954-1962)"، الطبعة الثانية 2010، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ص 208.
- ⁴ الأخضر ب والطين، "الفداء نظامه ودوره في ثورة التحرير"، مجلة أول نوفمبر، عدد 45، السنة 1980، من إعداد المنظمة الوطنية للمجاهدين، ص 64.
- ⁵ أنيسة وعلي، "الشهيدة يامنة الشايب المدع وزولبخة"، مجلة أول نوفمبر، عدد 172، السنة 2008، من إعداد المنظمة الوطنية للمجاهدين، ص ص(56-59).

- ⁶ أنيسة بركات، "محاضرات ودراسات تاريخية حول الجزائر"، منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1995، ص 101.
- ⁷ عبد الكريم بوصفصاف، "المرأة الجزائرية قيمة من قيم الثورة الجزائرية"، مجلة القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية (1954-1962)، الجزء الأول، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفة، جامعة منتوري، قسنطينة، أبريل 2003، ص 8.
- ⁸ بن علي (زهير)، المرأة الجزائرية والمقاومة السلمية للمشروع الاستيطاني الفرنسي، المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 12، العدد 1 جانفي 2020، ص ص (598-606).
- ⁹ فتيحة بن حميميد، تعليم المرأة الجزائرية أثناء الفترة الاستعمارية- عند الشيخ بن باديس نموذجاً، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، المجلد 9، العدد 3 ديسمبر 2018، ص ص (8-29).
- ¹⁰ زهير بن علي، المرجع السابق، ص ص (598-606).
- ¹¹ يعد مؤتمر الصومام محطة تاريخية هامة في مسار الثورة الجزائرية، حيث اهتم في مناقشته بمسألة تقييم المرحلة المقطوعة من حياة الثورة الجزائرية، معنيا بإعادة تنظيم هيكلها السياسية والعسكرية والإدارية، وتجديد الفئات الشعبية وتعبئتها في تدعيم الكفاح المسلح الذي يبقى مستمرا، كما اهتم بوسائل العمل والدعاية بالإضافة إلى تقديم مشروعا سلميا لتسوية القضية الجزائرية الذي يكرس الاستقلال.
- ¹² مقتطف من ميثاق مؤتمر الصومام، وحول منهج الصومام في موضوع الحركة النسائية، أنظر:
- بسام العسلي، المجاهدة الجزائرية والإرهاب الاستعماري طبعة خاصة، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 2010، ص ص (221-222).
- ¹³ فاطمة حباش، 'إسهامات المرأة الجزائرية في النضال الوطني إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر'، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، العدد الأول، المجلد الثاني، يناير 2019، ص ص (466-478).
- ¹⁴ جاري جويده، "وقفات في الأدوار الريادية للمرأة الريادية إبان الثورة التحريرية"، مجلة القيم الفكرية والإنسانية في الثورة التحريرية (1954-1962) الجزء الأول، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2003، ص 113.
- ¹⁵ جازية بكاردة، مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية بالولاية الخامسة من خلال الشهادات الحية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 11، ص ص (248، 276).
- ¹⁶ بابي بلحسن، المرأة الجزائرية خلال حرب التحرير 1954-1962، تر: صاري علي حكمت، دارتالة للطبع ص 11.
- ¹⁷ الفداء: تعني كلمة فداء في مصطلح الثورة التحريرية فداء النفس وتقديمها تضحية سواء لنيل الغاية أو الاستشهاد، والفداء أسلوب من أساليب الكفاح المسلح فرضته ظروف حتمية لتحقيق الأهداف المرجوة وقد اعتمدته جبهة التحرير الوطني منذ إعلانها الثورة المسلحة خاصة في المدن الكبرى، بحكم ظروفها وطبيعتها، والفدائي هو شخص يفدي بنفسه الوطن والتطوع للموت، يرتدي ملابس مدنية غير متميزة كبقية الشعب في المدن حتى لا يلفت الأنظار عند تحركاته، وفي بداية الأمر كان جنود جيش التحرير الوطني هم الذين يقومون بالعمليات الفدائية، لكن بعد ذلك تطور الأمر فوضعت تحت تصرفها تشكيلات فدائية، وتعود بداية العمل الفدائي إلى عام 1947 وه وتاريخ إنشاء المنظمة السرية، وإذا أردنا أن نعرفه وجدناه وسيلة لبث الرعب وإحداث الهلع والفرع في نفوس الاستعماريين وأعوامهم من جهة، وأداة فعالة لكسب الجماهير إلى صفوف جبهة التحرير الوطني داخل المدن والقرى من جهة أخرى، إضافة إلى ذلك انه همزة وصل بين الجماهير التي يرفع من معنوياتها والثورة التي تسعى إلى مسانبتها عن طريق ملاحقة أعداء البلاد.
- إن تنظيم العمل الفدائي يكون سريرا بداية من اختيار المناضل إلى غاية انتهاء العملية، كان في كل قطاع في المدينة مسؤول يساعد اثنان أو أكثر، وكان لكل مساعد فوجان أو خليتان تضم كل خلية عضوين ومسؤولا وتحفظ بسرهما ولا يمكن أن تعرف أي شيء عن بقية الخلايا، وقد كان يعتمد على نظام الأفواج المحدودة العدد، يكون هذا في المدن الكبرى، أما بالنسبة للمدن الصغرى والقرى فان الفداء فيها كان ينفذه مسبل وجندي بأمر من الجيش الوطني، ينظر إلى:
- أحسن بومالي، "إستراتيجية الثورة في مرحلتها الأولى 1954-1962"، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طبع بالمؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، وحدة روية، الجزائر، ص ص (108، 106).
- جودي الأخضر بالظمين، "لمحات من ثورة الجزائر"، الطبعة الثانية، المؤسسة الوطنية للكتاب 1987، ص ص (291، 287).
- عمار قليل، "ملحمة الجزائر الجديدة"، الجزء الثاني، الطبعة الأولى 1412هـ/1991، طبع دار البعث، قسنطينة الجزائر، ص ص (311، 310).

- ¹⁸ حرب العصابات: اعتمده جيش التحرير الوطني قام في صورتين، جيش ميداني ويتبع حرب العصابات، وتنصب هجوماته على الجيش الاستعماري وفدائيين يعملون بصورة منفردة في الأحيان، وكانت خطة حرب العصابات التي اعتمدها جيش التحرير الوطني تتمثل في شعار "أضرب واهرب"، فكان المجاهدون يراقبون تحركات جيش العدو ويقتنصون الفرص الملائمة ويعدون الخطة الحرة الهجومية التي تليق بالزمكنة وطبيعة القافلة العسكرية المراد مهاجمتها، وكانت هذه الخطة ناجحة بنسبة كبيرة دون خسائر تذكر، وهذه الخطة أغضبت الفرنسيين كثيرا وأفشلت جميع خططهم الحربية، عبد المالك مرتاض، "دليل مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية (1954-1962)"، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص ص (43،41).
- ¹⁹ مجلة أضواء، (دون ذكر أسماء المؤلفين)، العدد الثالث 2000، نشرة إعلامية تاريخية فصلية تصدر عن مديرية المجاهدين لولاية سيدي بلعباس، مصلحة المحافظة على التراث التاريخي والثقافي، ص 29، ينظر أيضا:
- ♦ *Mémoria, Moudjahidate Algériennes-Les Pasionarias Du 1^{er} Novembre 1954, Supplément, N 02, Juin 2012, pp (98-100).*
- ²⁰ محمد محمدي، المراة الجزائرية وأدوارها الإنسانية خلال الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد3، العدد 2 ديسمبر 2019، ص ص (674-688).
- ²¹ فاطمة حباش، المرجع السابق، ص ص (466-478).
- ²² مختار بونقاب، مساهمة المراة الجزائرية في الثورة التحريرية، مجلة الحوار المتوسطي، العدد الأول، المجلد الخامس، ص ص (189-195).
- ²³ مجلة أضواء، المرجع السابق، ص 30.
- ²⁴ هند قديد، "دور المراة أثناء الثورة التحريرية". الملتقى الوطني الأول حول كفاح المراة، دراسات وبحوث، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 1998، ص 125.
- ²⁵ عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص 10.
- ²⁶ خليفة جنيدي، "حوار حول الثورة"، الجزء الأول، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، 1986، ص 431.
- ²⁷ عبد اللطيف الحناشي، "الحياة اليومية للمساجين السياسيين التونسيين بالسجون الفرنسية بالجزائر"، سياسة التعذيب الاستعمارية إبان الثورة الجزائرية وتداعياتها المعاصرة، ملتقى وطني، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، الجزائر، 2006، ص 190.
- ²⁸ عتيقة حريرية، "إستراتيجية الإدارة الفرنسية تجاه المراة الجزائرية أثناء الثورة التحريرية-قراءة سوسي وتاريخية"، مجلة قضايا تاريخية، العدد 2، المجلد 5، ص ص (98، 109).
- ²⁹ مصطفى عوفي، "نضال المراة الجزائرية خلال الثورة التحريرية رؤية سوسولوجية"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 6، العدد1، جامعة باتنة، ص ص (43-58).
- ³⁰ خديجة بلخير، "باية حسين المراة المناضلة بقراءة عمار بلخوجة"، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 10، العدد 1، ص ص (121-133).
- ³¹ ع. بن محمد، دور المراة الجزائرية في الكفاح المسلح، مجلة الجيش، سنة 1979، ص ص (108، 111).
- ³² عتيقة حريرية، المرجع السابق، ص ص (98، 109).
- ³³ حالة خديجة، " دور المراة التواتية في الثورة التحريرية من خلال الشهادات الحية"، مجلة قرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، المجلد الرابع، العدد الثامن جانفي 2018، ص ص (102، 112).
- ³⁴ يسمينة سعودي، "صور من صمود المراة الجزائرية بالولاية الثالثة أثناء الثورة التحريرية من خلال مذكرات جودي أتومي"، مجلة آفاق للعلوم، العدد العاشر جانفي 2018، ص ص (103، 112).
- ³⁵ عبد الكامل جويبة، "محطات من نضال المراة في تاريخ الثورة الجزائرية"، مجلة المواقف، المجلد1، العدد1، ص ص (163-170).
- ³⁶ جازية بكرادة، دور المراة الجزائرية في الثورة التحريرية بالولاية الخامسة (1954-1962)، رسالة دكتوراه، تحت إشراف أوعامري مصطفى، 2016/2017، جامعة أب وبكر بلقايد تلمسان، ص 305.

³⁷ عبد القادر حلوش، "شهادات حول الحرب التحريرية"، دفاتر التاريخ المغربية، العدد 1988، مخبر تاريخ الجزائر وإفريقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط الغربي، معهد علم الاجتماع، جامعة وهران، ص (68-80). ولمزيد من التفاصيل حول موضوع التعذيب الاستعماري إبان الثورة التحريرية أنظر:

• بوعلام نجادي، "الجلادون 1830-1962"، ترجمة: محمد المعراجي، منشورات ANEP، ص (270، 271). أنظر الحصة التي نشطها الأستاذ الباحث "بوعلام نجادي" بمقر إذاعة سيدي بلعباس حول جرائم فرنسا في منطقة سيدي بلعباس، بمناسبة إحياء ذكرى السادسة والأربعين لاسترجاع السيادة الوطنية.

³⁸ خالد بلعربي، "تساؤلات حول دور المدينة الجزائرية في مناهضة الاحتلال الفرنسي سيدي بلعباس نموذجا"، المجلة التاريخية المغاربية، العدد 121، السنة الثالثة والثلاثون، مارس 2006، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ص (11-19).

³⁹ سيد أحمد بلبوري، "مدينة سيدي بلعباس ودورها في اجتماع القادة قبل تفجير الثورة"، الملتقى الوطني حول تاريخ منطقة سيدي بلعباس خلال الفترة الاستعمارية 1962/1830، الجزء الثاني، جامعة الجيلالي ليايس، سيدي بلعباس، مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ص (147-157).

⁴⁰ عبد القادر حلوش، "الثورة الجزائرية في منطقة سيدي بلعباس من خلال الشهادات الشفوية"، الملتقى الوطني حول تاريخ منطقة سيدي بلعباس خلال الفترة الاستعمارية 1962/1830، الجزء الثاني، جامعة الجيلالي ليايس، سيدي بلعباس، مكتبة الرشد للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ص (150_157).

⁴¹ عبد القادر حلوش، "شهادات حول الحرب التحريرية"، المرجع السابق.

⁴² عبد القادر حلوش، "الثورة الجزائرية في منطقة سيدي بلعباس من خلال الشهادات الشفوية"، المرجع السابق.

⁴³ حيث كلفت بجمع الأموال والألبسة العسكرية ثم جمع الأسلحة والذخيرة، إضافة إلى تحضير الطعام للمجاهدين وإعطاء المعلومات الكافية فيما يخص تحركات العدو وتعالج المجرحين وتوفير الأدوية وغيرها من الواجبات.

⁴⁴ كلها جبال حصينة وكثيفة بالأشجار، مما ساعد المجاهدين على التمركز الجيد والتحصن بمواقعها المنيع.

⁴⁵ مجلة أول نوفمبر (دون ذكر المؤلفين)، العدد 186، فيفري 2019، مجلة فصلية تاريخية ثقافية سياسية اجتماعية، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين، ص (65-68).

⁴⁶ مجلة أضواء، (دون ذكر المؤلفين)، العدد الثالث، نشرة إعلامية تاريخية فصلية تصدر عن مديرية المجاهدين لولاية سيدي بلعباس، مصلحة المحافظة على التراث التاريخي والثقافي، ص 29.

⁴⁷ AINAD TABET (Redouane), « Histoire D'Algérie, Sidi Bel Abbés De La Colonisation A La Guerre De Libération En Zone 5 Wilaya V (1830-1962) », Avec La Collaboration De TAYEB NEHARI, Officier De L' A.L.N, ANP, Edition, Alger 1999, p389 .

⁴⁸ مجلة أضواء، (دون ذكر أسماء المؤلفين)، المرجع السابق، ص 30.

⁴⁹ مجلة أول نوفمبر، (دون ذكر اسم المؤلف)، العدد 186 فيفري 2019، مجلة فصلية: تاريخية- ثقافية - سياسية، اجتماعية، تصدر عن المنظمة الوطنية للمجاهدين، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين، ص 68.

⁵⁰ مجلة أول نوفمبر، المرجع السابق، ص 66.

⁵¹ شهادة العضوية في جيش التحرير الوطني للشهيدة 'عراس رقية'، المصدر: تحصلت على شهادة ميلادها من بلدية سفيزف مسقط رأسها، وشهادة العضوية من مديرية المجاهدين لولاية سيدي بلعباس، وصورتها من متحف المجاهد لسيدي بلعباس.

⁵² مقابلة شخصية مسجلة (شهادة حية) أجريتها مع ابن عمها 'عراس يحيى'، مسؤول عن منظمة المجاهدين لبلدية سفيزف في: 2009/04/27، بمقر المنظمة ببلدية سفيزف.